كلية العلوم الاجتماعية شعبة الانثروبولوجيا

د.عبد اللاوي ليندة مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: الانثروبولوجيا السياسية

المحاضرة السادسة:

مناهج الانثروبولوجيا السياسية

هام لفائدة الطلبة:

المطلوب اعداد بطاقة قراءة فردية (كل طالب على حدة) في هذه الصفحات ، من كتاب جورج بالانديه – الانثروبولوجيا السياسية –، حول مناهج الانثروبولوجيا السياسية. الرجاء ارسال بطاقاتكم على البريد الالكتروني الخاص بي على العنوان التالي:

lindaabdellaoui@yahoo.fr

سوف يتم تقييم بطاقات القراءة الخاصة بكل طالب وتنقيطها وتحسب النقطة مع نقطة التطبيق الخاص بالمقياس.

3 ـ مناهج الانتروبولوجيا السياسية واتجاهاتها

لم تتميز الطرائق في البداية عن مجمل المنهج الانتروبولوجي وهي أصبحت أكثر نوعية عندما تناولت الانتروبولوجيا السياسية المضمرة حتى ذاك الحين مسائل خاصة بها وهي : صيرورات تكوّن المجتمعات الدولتية ، طبيعة الدولة البدائية ، اشكال السلطة السياسية في المجتمعات المتمتعة بالحد الأدنى من الحكم ، الخ . . . واكتسبت هذه المناهج أصالتها الكاملة منذ أن أصبحت الانتروبولوجيا السياسية مشروعاً علمياً يستهدف موضوعاً ما وأهدافاً محددة للغاية . وهكذا تلقت تأثير العلوم الإجتماعية السياسية السائدة ـ تيار ماكس فيبر او نادراً جداً تيار ماركس وانجلس (مثلاً حالة ليسلي وايت) . واستفادت رغم ذلك من وجوه التقدم التي أحرزتها الانتروبولوجيا العامة .

تتميز هذه الطرائق بالأدوات التي تلجأ إليها وبالمسائل التي اشتغلت عليها ، ولا يكون تعريفها كافياً بمقارنة الأعمال النظرية ، التي تبني مجالها الدراسي مرتكزة على اسهام الأبحاث الميدانية ، والأعمال التي تقتصر على الإعداد الفوري للمعطيات الناتجة عن البحث المباشر . من المناسب وضع قائمة موجزة بهذه الطرائق وذلك قبل تقديم فعاليتها العلمية في معرفة الحقل السياسي .

أ ـ المنهج التكوّني

انه الأول في تاريخ الأنتروبولوجيا السياسية والأكثر طموحاً في الوقت

نفسه . ويطرح على نفسه مسائل المنشأ و « التطور » الطويل الأمد : الأصل السحري أو / والديني للملكية ، مسيرة تكوّن الدولة البدائية ، تحوُّل المجتمعات المبنية على « القرابة » إلى مجتمعات سياسية ، الخ . . . تمثّل هذا المنهج عبر عدة مؤلفات ـ ابتداءً من مؤلفات الرواد حتى دراسة و . ث ماك ليود التاريخية : أصل السياسات وتاريخها (1931) ـ The origin and History of politics . ومن زاوية ما وجد هذا المنهج نتيجته في الأبحاث العرفية التي أوحت بها الماركسية والتي أدخلت إليه تصويراً ديالكتياً عن تاريخ المجتمعات .

ب ـ المنهج الوظائفي

يعين هذا الإتجاه نوع المؤسسات السياسية ، في المجتمعات المسماة بدائية ، إنطلاقاً من الوظائف التي تؤديها . وحسب تعبير لراد كليف براون ، فإنه يؤدي إلى النظر « بالتنظيم السياسي » كجانب من جوانب « التنظيم الشامل للمجتمع » . عملياً يقارن التحليل مؤسسات سياسية صافية (إذاً ، جهاز الملكية) ومؤسسات متعددة الوظائف تستخدم في بعض الظروف لأهداف سياسية (إذاً ، « التحالفات » المعقودة بين القبائل والأنساب) . يسمح نموذج المنهج هذا بتحديد العلاقات السياسية وما تبنيه من نظم وأنساق ولكنه قلما ساهم بتوضيح « طبيعة » الظاهرة السياسية . لهذه تتميز عامةً بمجموعتين من الوظائف هما : تلك التي تؤسس الإنتظام الإجتماعي وتحافظ عليه بإعدادها للتعاون الداخلي (راد كليف براون) ؛ وتلك التي تضمن الأمن بتأمين الدفاع عن الوحدة السياسية .

ج ـ المنهج النموذجي (التصنيفي)

انه امتداد للمنهج السابق . يسعى إلى تحديد نماذج أنظمة سياسية وتصنيف أشكال تنظيم الحياة السياسية . ويبدو أن وجود أو عدم وجود

الدولة البدائية يقدم مؤشر التمييز الأول : انه المؤشر السائد في « الأنظمة السياسية الافريقية » . وهناك اعتراض على التفسير الذاهب في اتجاهين . عملياً ، من الممكن بناء سلسلة من النماذج ممتدة من أنظمة ذات حكم بالحد الأدنى حتى أنظمة الدولة التامة البناء ؛ متقدمة من نموذج نحو النماذج الأخرى ، تتميز السلطة السياسية أكثر فأكثر ، وتنتظم بطريقة أكثر تعقيداً وتتركز . وتظهر المقابلة البسيطة بين المجتمعات المجزأة والمجتمعات الدولتية الممركزة قابلة للنقاش خصوصاً وان المستفرق أ . سوتال A. Southall إشارة إلى ضرورة إدخال فئة ثالثة على الأقل وهي فئة الدول المجزأة .

وأبعد من هذا النقد تعرضت الطريقة ذاتها للشك ؛ لدرجة أنه جرى تشبيه النموذجية أحياناً بـ « حشو » باطل (أ . ر . ليتش E. R. Leach) . قد يكون من المناسب على الأقل أن لا نخلط ونجمع النموذجية « الوصفية » والنموذجية « الاستنتاجية » (د . ايستون D. Easton) . وقد ينبغي أن لا نجتنب العقبة الرئيسية وهي : كون النماذج المحددة « مجمدة » ؛ وحسب قول معبر لليتش : « لا نستطيع الاكتفاء طويلاً بالمحاولات التي تقيم نموذجية لأنظمة ثابتة » .

د ـ المنهج الاصطلاحي

إن كشفاً أولياً للظواهر والأنظمة السياسية وتصنيفها يؤديان بالضرورة إلى محاولة إعداد فئات أساسية . وتلك مهمة صعبة تتطلب قبل كل شيء تتخيماً دقيقاً للحقل السياسي[7] . ويبقى هذا التحديد غير كامل إلى حد بعيد : ففي بحث حول الانتروبولوجيا السياسية ، يؤكد د . ايستون أن مادة هذا العلم تبقى غير محددة ذلك لأن « عدة مسائل مفهومية لم تحل بعد » . إن إحدى المبادرات الأكثر إنطلاقاً في هذا المجال هي مبادرة م .

---

(7) أنظر الفصل الثاني : « المجال السياسي » .

ج . سميث ؛ التي تحاول وبجرأة وضع المفاهيم الأساسية مثل : عمل سياسي ، منافسة ، سلطة ، الحكم ، إدارة ، وظيفة ، الخ . . . وهي مبادرة نافعة (بنتائجها) خصوصاً وانها تتناول « العمل السياسي » بطريقة تحليلية وذلك من أجل الكشف عن الناحية المشتركة لكل الأنظمة . رغم ذلك يبقى وضع معجم المفاهيم الرئيسية أسهل من شحنه بالمحتوى . ويجب أن يكون إعداد هذه المفاهيم تاماً وذلك بدراسة منهجية للمقولات والنظريات السياسية المحلية ، سواء كانت هذه الأخيرة صريحة أو ضمنية ومهما تكن الصعوبات التي تعترض تفسيرها .

وهكذا تكون الألسنية إحدى الأدوات الضرورية للأنتروبولوجيا والسوسيولوجيا السياسيتين . لا يمكننا أن نتجاهل كون المجتمعات الخاضعة للأنتروبولوجيا السياسية تفرض توضيح النظريات التي تشرحها والأيديولوجيات التي تبررها . وكان كل من أ . سوتال وج . بيتي وج بالانديه قد اقترحوا الوسائل المستخدمة بهدف بناء هذه الأنظمة المعبرة عن الفكر السياسي المحلي .

هـ ـ المنهج البنيوي

يستبدل هذا الإتجاه الدراسة التكونية أو الوظائفية بدراسة للسياسي تنفذ إنطلاقاً من نماذج بنيوية . فهو ينظر إلى السياسة من جانب العلاقات « الشكلية » التي تحلل علاقات السلطة القائمة فعلاً بين الأفراد وبين الجماعات . وإذ يكتفي بالتفسير الأسهل ، فإن البنى السياسية ـ قبل كل بنية اجتماعية ـ هي الأنظمة المجردة ، المعبرة عن المبادىء التي توحد العناصر المكوِّنة للمجتمعات السياسية الواقعية . ففي مقالة مثيرة مخصصة « لبنية السلطة عند الحاجرائيين[8] ، وهم تجمع سكاني تشادي ، عين . ج .

(8) J. Pouillon, «La structure du pouvoir chez les Hadjerai (Tchad),» in L'Homme, V, 4, 1964.

بويون J. Pouillon وأوضح إحدى إمكانيات الطريقة البنيوية المطبقة في مجال الانتروبولوجيا السياسية . وتناول التطبيق مجموعة من المجتمعات الصغيرة مقدمة في آن معاً علاقات قرابة (الاسم العام ـ الحاجرائي ـ يذكر بها) وصيغ معبرة وخاصة في معالجة السلطة . وجود عناصر مشتركة وتمايز في تناسقها ، ذلك هو الشرط المزدوج الضروري لهذا المنهج ؛ ويتيح لنا هذا الشرط أن نبني على درجتين « أنظمة » مطابقة لمجمل أشكال التنظيم الإجتماعي ـ السياسي و « نظام الأنظمة » ـ المفروض أن يحدد السلطة الحاجرائية . من هنا تأتي مرحلتا الدراسة : المرحلة الأولى وهي « كشف العلاقات البنيوية الداخلية لكل تنظيم معتبر كنظام » ؛ المرحلة الثانية وهي تأويل مجموعة التنظيمات المدروسة كأنها « نتاج توافق » . في الحالة المذكورة هذه توضح الطريقة خاصة التوفيقات المختلفة (المساواة ، التمييز الجزئي ، التأكيد المتغير) للسلطتين الدينية والسياسية ، وتوضح أيضاً لعبة منطق يتحقق بأشكال مختلفة داخل بنية كلية واحدة . وبهذا تستطيع البدائل أن تشير إلى أحوال في البنية نفسها .

عند تطبيقه على دراسة الأنظمة السياسية ، يثير المنهج البنيوي صعوبات خاصة به وعلى مستوى أكثر شمولاً . وخاصة الصعوبات التي تتناولها البنيوي المعتدل أ . ر . ليتش في دراسته عن المجتمع السياسي الكاشاني . انه ينطلق من أمر واضح وهو أن البنى التي يعدها الانتروبولوجي نماذج موجودة فقط « كصيغ منطقية » . ومن هنا نطرح السؤال الأول : كيف نتأكد أن النموذج الشكلي هو الأنسب ؟ أضف على ذلك أن ليتش تفحص صعوبة أكثر أهمية . « حسب ما يصفها الانتروبولوجيون فإن الأنظمة البنيوية هي دائماً أنظمة سكونية » ؟ انها نماذج من الواقع الإجتماعي تقدم حالة من التماسك ومن التوازن الثابت ، في حين أن هذا الواقع ليس له طابع الكل المتماسك ؛ فهو يخفي تناقضات ويكشف عن متغيرات

وتحولات في البنى . في حالة التنظيم السياسي الكاشاني الخاصة يعاين ليتش ظاهرة التذبذب بين قطبين ـ النموذج الديمقراطي الغملاوي والنموذج « الارستقراطي » الشاني ـ واستقرار النظام والتسويات المتغيرة للثقافة والبنية الإجتماعية ـ السياسية ، والوسط البنيوي . إن دقة العديد من التحليلات البنيوية شكلية وخادعة ، وتفسَّر بشرط ضروري ولكنه مقنِّع غالباً هو : « وصف بعض نماذج الوضع الوهمية أي بنية أنظمة التوازنات » (آ . ر . ليتش » .

و ـ المنهج الدينامي

يكمل هذا المنهج جزئياً المنهج السابق بتصحيح بعض نقاطه . فهو يريد تناول ديناميكية البنى وكذلك نظام العلاقات التي تكونها ؛ أي أخذ التعارضات والتناقضات والتوترات والحركة الملازمة لكل مجتمع بعين الإعتبار ويفرض هذا المنهج نفسه كأنتروبولوجيا سياسية خصوصاً وأن الميدان السياسي هو الميدان الذي تلتقط فيه هذه التعارضات والتناقضات والتواترات بشكل أفضل والذي يترك فيه التاريخ بصماته بأوضح ما يكون .

لقد ساهم آ . ر . ليتش مباشرة في إعداد هذا المنهج وذلك بعد أن بحث في أسباب ظهوره المتأخر . وأدان تأثير دور كهايم المسيطر ـ على حساب تأثير باريتو أو ماكس فيبر ـ الذي قد يكون سوَّغ مفهوماً يشدد على التوازنات البنيوية والتماثلات الثقافية وأشكال التضامن ؛ حتى أن المجتمعات التي تحمل صراعات ظاهرة والمعرضة للتغييرات أصبحت « متهمة بالفوضوية » . وقد نقض « الآراء المسبقة الأكاديمية » والنزعة العرقية للأنتروبولوجيين الذين ألّفوا بعض المعطيات الواقعية وذلك لكي يتقصر البحث على مجتمعات مستقرة لا تهددها التناقضات الداخلية منعزلة داخل حدودها . بالإختصار حث ليتش على إعطاء وزن أكبر لما هو متناقض

ومحل نزاع وتقريبي ولما هو مرتبط بالخارج . ويبدو هذا الإتجاه ضرورياً لتقدم الانتروبولوجيا السياسية . لأن السياسي يتوضح أولاً بتعارض المصالح والمنافسة .

بدعوة من ماكس غلوكمان وجّه انتروبولوجيو مدرسة مانشستر أبحاثهم في اتجاه التفسير الدينامي للمجتمعات . فقد تفحص غلوكمان طبيعة العلاقات الموجودة بين « التقليد » و « الصراع » (التقليد والصراع في افريقيا 1955) وبين « النظام » و « التمرد » (النظام والتمرد في افريقيا القبلية 1963) . ويرتبط اسهامه بالنظرية العامة للمجتمعات التقليدية والقديمة وفي الوقت نفسه بمنهج الانتروبولوجيا السياسية ، التي استلهمت نظريته عن التمرد ودراساته المخصصة لبعض الدول الافريقية . وهو ينظر إلى التمرد كسيرورة مستمرة تؤثر بالعلاقات السياسية بطريقة دائمة ، بينما يعتبر الطقس ، من ناحية أخرى ، كوسيلة تعبير عن النزاعات وتجاوزها بتأكيد وحدة المجتمع . وتظهر الدولة الافريقية التقليدية مزعزعة وحاملة معارضة منظمة طقسية ـ تساهم بالحفاظ على النظام أكثر من تغييره ؛ وهكذا يصبح عدم الاستقرار النسبي والتمرد المضبوط الظاهرتين العاديتين لسيرورات سياسية خاصة بنموذج الدولة هذا . وكما نرى ، فإنّ التجديد النظري حقيقي ، ولكنه لا يصل إلى نهايته . يعترف ماكس غلوكمان بقوة بالدينامية الداخلية « كمكونة » لكل مجتمع ، ولكنه يختزل قوتها التغييرية . تؤخذ الدينامية بالاعتبار ـ كالحقائق الناتجة عن « الشروط الخارجية » ـ ولكنها تضم إلى مفهوم للتاريخ يربط المجتمعات المأخوذة من الانتروبولوجيا بتاريخ يعتبر تكراراً .

أثار هذا التأويل جدلاً كان من الصعب تلافيه ، وظهرت أهميته من جهة أخرى بالفائدة المتناهية المنسوبة للتحليلات الانتروبولوجية ذات المنحى التاريخي وبكثرة المحاولات النظرية التي تقوّمه . بعد مرحلة طويلة من

فقدان الثقة التي تبررها الطموحات الواسعة للمدرسة التطورية وسذاجات المدرسة الإنتشارية والرأي المبتسر السلبي للمدرسة الوظائفية ، استعادت هذه المسائل الأولوية في حقل البحث الانتروبولوجي . وساهم مؤلّف صغير لـ أ . أ . إيڤانس ـ بريتشار (الانتروبولوجيا والتاريخ ، 1961) في رد الإعتبار لهذا التاريخ . ولن يجد الجدل نهايته إلا إذا بدأنا نميز ، دون الوقوع في الغموض ، وسائل المعرفة التاريخية والأشكال التي تتخذها الصيرورة التاريخية والتعبيرات الأيديولوجية التي تخفي التاريخ الحقيقي . في حالة الانتروبولوجيا السياسية فإن وضوح العلاقات الموجودة بين هذه اللوائح الثلاث هو شرط ضروري .

وفي مجال اعتبر ولمدة طويلة خارج التاريخ ـ أي مجال المجتمعات والحضارات الزنجية ـ الافريقية ـ راحت الأعمال الحديثة تبرهن خطأ التأويلات السكونية للغاية . ولا يمكن بعد الآن تجاهل حقيقة التاريخ الافريقي الظاهر بتأثيراته على حياة وموت المجتمعات السياسية والحضارات الزنجية . تبين الأبحاث التي تأخذ هذه الأبعاد بعين الاعتبار أن الشعور التاريخي لم يظهر بالصدفة وذلك على أثر المحن الإستعمارية والتحولات العصرية ؛ فليس التاريخ الأجنبي وحده « المستبطن » ، تشير إلى ذلك هذه الأبحاث نافية وجهة نظر جان پول سارتر . في دراسته عن النوب Nupe (نيجيريا)، يميز س . ف . نادل مستويين من التعبير التاريخي (مستوى التاريخ الأيديولوجي ومستوى التاريخ الموضوعي) ويلاحظ أن لدى النوب إحساساً تاريخياً (يقول عنهم Historically minded) عاملاً على هذين المستويين[9] . وأكدت أبحاث جديدة ثنائية التعبير التاريخي هذه والمعرفة التي تنظمها هذه الثنائية . أن تاريخاً عاماً (مثبتاً بسماته العامة ومرتبطاً بكيان

(9) «A Black Byzantium», Londres, 1942.

عـرقي بأسره) يتعـايش مع تـاريـخ خـاص (محـدد بـالتفصيـل ، خـاضـع للتـوترات ، مستنـد إلى جماعـات معينة وإلى مصـالحها الخـاصة) . وتحمـل دراسة أجراها يان كونيسون Ian Cunnison على عشيرة لـواپولا Luapula في افـريقيا الـوسطى مثـلاً واقعياً . فهي تحـدد موقف كـل من طريقي التـاريخ الافريقي على التوالي : الزمن والتغيير مرتبطان على مستوى التاريـخ المسمى مـوضوعيـاً ؛ أما عـلى مستوى التـاريخ المسمى ذاتيـاً فالـزمن ملغى والتحولات كأنها معدومة ـ تكون أوضاع ومصالح المجموعات ثابتة تقريبـاً . إضافـة إلى ذلك يشير هذا التحليل إلى أي مدى وعت عشيرة « لواپولا » دور الحـدث في صيرورة مجتمعها وإلى مدى الاحساس بالسببية التاريخية ؛ فهذه بالنسبـة لهم غير تابعة للنظام الفوق طبيعي لأن الأحداث خـاضعة بشكـل أساسي لإرادة البشر .

تبدو الصلة واضحة بين التاريخ والسياسـة حتى في المجتمعات المـتروكة للعلوم الانتروبولوجية . وعنـدما لم يعـد ينظر للمجتمعـات كأنـظمة مجمَّـدة أصبـح من المستحيل إهمال الرابـطة الأساسيـة بين ديـنـاميتهـا الإجتـماعيـة وتاريخها . وهناك حجة أخرى تفرض نفسها أيضاً وبقوة أكبر وهي : تكـون درجات الاحساس التاريخي على صلة متبادلة مع أشكال درجة تمركز السلطة السياسية . وفي المجتمعات المجزأة غـالباً مـا يكون المحـافظون عـلى المعرفـة المنصبة على الماضي هم وحدهم أصحاب السلطة . وفي المجتمعات الـدولتية يـظهر الإحسـاس التاريخي أكـثر حيـاة واتسـاعـاً . هـذا ، وفي حضن هـذه المجتمعـات يتواصـل وبوضـوح استعمال التـاريخ الأيـديـولـوجي لأهـداف استراتيجية سياسية ؛ وهذا ما كشفه بشكل جيـد ج . ڤانسينـا بشأن راونـدا القديمة . يبقى أن نذكر أيضاً أن توجه البلاد المستعمرة نحو الاستقلال وضع في خدمة الوطنيين تاريخاً نضالياً حقيقياً . إذاً عبر لعبة الضرورة وقد أصبحت واضحة توصلت نظرية المجتمعات الدينامية والانتروبولوجيا وعلم الإجتـماع

السياسي والتاريخ لتوحيد جهودها . وقد اعطى هذا اللقاء قوة جديدة لنبوءة دور كهايم القائل : « نحن مقتنعون . . . بانه سيأتي يوم لن يختلف فيه الفكر التاريخي عن الفكر الإجتماعي إلا بفروق دقيقة » .